

أدب المنفلوطى

بقلم السيد جورج سلسنى

حكيت على أثر الحملة الطائفة التي قام بها بعض الأدباء على المنفلوطى وأدبه بمناسبة ذكره الثالثة عشرة

أحق ما يقولون من أن صاحب « النظرات » (ليس بالكاتب ولا الأديب) ، وأنه صنم من أصنام الأدب (يجب علينا تحطيمه وطرحه) ، وأنه خلر حتى (من ناحية واحدة خليقة بالتحليل ووجه واحد جدير بالدرس) ؟ !

أنكون نفثاته الشائقة نفاية (لا قيمة لها ولا وزن) ، وكتاباته الممتعة (مزيفة جوفاء) ، وأدبه الرائع (سقيماً هزلياً) ؟ !
أبلغ العقوق في هذا الجيل حدَّه الأقصى فيتهجم الأبناء على آبائهم والتلاميذ على أساتذتهم ولا يعترفون لهم حتى بالتشريف ولا يقرون لهم بفضل ولا شبه فضل ؟ !

أكلما طلع كاتب جديد كان القدر أول كلماته ، والنقد الجارح أول نفثاته ، وكان الهدم نصيب نابغة من نواحي الأدب العالى وقطب من أقطاب الفن الرفيع ؟ !

أحتم على الأدب الناشئ أن يتخذ النقد المرّ وسيلةً لبلوغ ما يصبو إليه من مكانة ، والتهمك اللاذع سبيلاً إلى ما يطمح إليه من مقام ، كأن لا نهج إلا هذا النهج ، وكأن الاتاج ليس من مزايا التفوق والنبوغ ؟ !

إننا نكبر الجرأة — والجرأة من مزايا الأدب — ولكن عندما تكون محدودة ، مكبوتة الزوات ، مكبوحة الأهواء ؛ لأن الجرأة المطلقة تهوّر وجنون .

وإننا نجلّ النقد — والنقد عماد الأدب الصحيح — ولكن عندما يكون تزيهاً لا تحامل فيه ولا طعن .

نود أن يكون الناقد فذاً في أدبه فذاً في رجولته لأننا نربأ به أن يكون طفيلياً يعيش على فتات سواء ، لا ، بل نربأ بكل من

يمت إلى الأدب بصلة أو سبب أن يبنى مجده على تقويض زعامة غيره وهدم بنيان سواء .

ليس المنفلوطى بالأديب الكامل ، فالأديب الكامل لم يخلفه الله بعد ؛ ولا هو سيد الكتاب ولا إمام المنشئين ولا أمير الشعراء ولكنه من سادة الكتاب ومن أئمة المنشئين ومن الشعراء المجيدين ، فعلام الانكار ؟ !

وليس المنفلوطى من الروائيين الأفذاذ ولا القصاصيين النواحي ولكنه من خيرة من نقلوا الرواية الأنجمية إلى لغة الضاد ومن كتبوا في القصة قبلوا فيها شأواً ؛ فعلام التضييل ؟ !

إن في أدب المنفلوطى مأخذ ، ما في ذلك ريب ، ولكن ما ضف أقله لا يندجله . وعلى الناقد الحصيف ألا يجسم الأخطاء ويتعمى عن مواضع السموّ والجمال .

يقولون إن المنفلوطى لم يكن يهمه من الانشاء غير الأسلوب وفي هذا القول غلوٌ كثير .

فهو على افتتانه بالمظهر كان يولى « الجوهر » اهتمامه وعنايته ؛ إلا أن روعة أسلوبه طغت على سواها فظهر أدبه أقرب إلى السطحية منه إلى العمق .

والتعمر لم يكن من شأنه فقد كان يلقى بآرائه في سلاسة ووضوح في ألفاظ جزلة ناعمة ، فأتت ديباجته وضاء مشرقة تتمررها العذوبة ويفيض عليها السحر . أياكون ساحر البيان سقيم الأدب هزيله ، وتكون السلاسة جُرمًا والمذوبة إثمًا ؟ !
ويقولون إن الجيد في لغة جيد في كل لغة ، وإن المنفلوطى إذا نُقِلَ إلى لغة أنجمية تعرّى من بهرجه وظهر ما في أدبه من ضعف .

وهذا قول فيه نظر . فليس لقطة من الأدب الانكليزي جلالها ذاته لدى نقلها إلى الفرنسية مثلاً ، ذلك لأن لكل لغة سحرها الخاص في الأداء والتعبير لا سيما في الشعر والأدب .

وإنك عبقاً تستطيع بالفأ ما بلغت من قدرة أن تنقل شكسبير بسحره وفتنته إلى لغة أخرى ؛ وما ذلك إلا لأنه كان — وهو المتضلع من لغته البصير بدقائقها وأسرارها — على عنايته

إنما هي رسائله وكتبه لا تنقص ولا تزيد ؛ أما أسلوبه فغال من التكلف وتكاد كلماته الطبيعة تسيل رقة وعذوبة

والمنفلوطي إلي هذا كله شاعر مجيد وله قصائد رائعة لانبيها إلا قلها . وهو في شعره شأنه في ثمره متخير اللفظ متين السبك ، لطيف المعاني بارع الوصف ، وله في الوجديات غرر وفي الحكم آيات

..... وبعد فحسب المنفلوطي فضلا على الأدب العربي أنه انتقل به في مستهل النهضة من الجفاف إلى الإبراق والابتاع ، وإنه حجب جمهور المتأدين في الانشاء الرفيع وأساغ له الاستمتاع بالسلاسة وتذوق المدونة فيه . وحسبه نقرأ أنه نسيج وحده في عصره لم يحاره في فخر بيانه منشئ في جيله

ومن كان له في الأدب خدمات مصطفى وفضل مصطفى ، فلن يضير مجده تهجم التهجين ولن ينال من مكانته تشدق التشدقين

على أنه يؤلنا والله ألا توزن الأقوال وألا تقدر الرجال

« بيروت » مبرج سلق

في أصول الأدب

لمؤتاز احمد من الزينات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ ..

يطلب من إدارة مجلة الرسالة وثمنه ١٣

كرة شديد العناية بالأسلوب . ذلك الأسلوب الذي يفقد روعته بالنقل .

لندع شكبير ولنتخذ أحد الكتاب المعاصرين مثالا . كن بول فاليري هذا المثال .

فهذه « مقبرته البحرية » تكاد تكون أحجية ، وهي نسية معجزة في السبك ، وما أحسب أن أحداً يأنس في نفسه ردة على نقلها إلى لغة أخرى ويظل محتفظاً بقوتها وروعها سيلتين ، وليجرب نفسه من يشك في القول أو من يرثاب في

فتلازم الألفاظ في كل لغة له جرسه الخاص ووقعه الخاص ، يكون له مثل وقعه ومثل جرسه في النقل والترجمة .

ويقولون إن المنفلوطي لم يصور إلا ناحية واحدة من نواحي بآة هي البؤس ، وإنه لم يوفق حتى في هذه الناحية .

وهذا قول ضرود ، فقد اشتهر المنفلوطي بمقلاته أكثر منه باباته ، وهذه « نظرائه » في أجزائها الثلاثة طائفة بكل طريف ؛ عالج فيها جميعاً من فنون الأدب وشؤون الحياة الشيء الكثير وهب أنه لم يكتب في الاجتماعيات ولا في الشعر ولا في النقد ديني ، وأنه وقف قلمه السيل على المأساة دون اللهاة ، وعلى تصوير رس دون السعادة ، فهل يلام الحزين إن لم يفتر ثمره بالبسات ؟ بل تلحى الكتيب إذا لم تعرف مقلته إلا الدموع وإذا لم تفرضه إلا بما تشمر به ، ويجيش به صدره المجهود ؟ !

ثم من ذا الذي كتب في البؤس فبلغ مدي المنفلوطي فيه ؟ من هو الكاتب العربي الذي حرك بنفثات قلمه مكامن الأشواق بمختلف الأحاسيس وتلاعب بالعواطف وأجري الشؤون من يون كما حركها وأثارها وأجراها مصطفى لطفي المنفلوطي ؟ !

ويقولون إن التكلف احتل كتاباته كلها وإن قلمه كان يجري لم تكن تشمر به نفسه . وفي هذا القول ما فيه من هراء

فلقد قال فيه عارفوه والذين لازموا في حياته إنه لم يكتب عن فيض شعوره وحسه ، وإن كتاباته صور حقيقية نفسه ، وإن أدبه وكرمه خلقه وما تحلى به شخصه من مزايا وصفات